المستشرقون وموقفهم من الدراسات القرآنية
"قضية الوحي نموذجاً"

إعداد
الدكتور: سعيد محمد عبدالسلام ناجي الحداد
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب . جامعة تعز. الجمهورية اليمنية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم، كتاب الله المبين، تكفل بحفظه في الصدور والسطور، قال تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر الآية:٩)، أنزله الله تعالى لغايتينساميتين:

الغاية الأولى:هداية البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(المائدة الآيتان: ١٥-١٦).

الغاية الثانية: الإعجاز والتحدي، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء الآية:٨٨)، فلما عجز مشركو مكة عن معارضة القرآن الكريم، لم يجدوا طريقا ينالون به من هذا الدين الجديد إلا التشكيك في أصالة القرآن الكريم ــ مع علمهم بأنه من عند الله تعالى ــ قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

(الأنعـــام الآية:٣٣)، فزعموا أن القرآن ما هو إلا قول البشر، أو أنّ صاحبهم "الأمين" و"الأمي" ما هو إلا شاعر أو ساحر مجنون أو أنه تعلَّمه من بشر.

وفي العصـــر الحـــديث قام بعض المستشرقين ــ يدفعهم التعصب ــ بمهمـــة التصـــــدي للقرآن الكريم والنيل منه ومن النبي صلى الله عليه وسلم، فأشـــاعوا الشـــبهات والأباطيل بأن القرآن ما هو إلا مجرد أساطير استمدت أصـــولها من الديانة المسيحية، وأن التحـــريف قد أصاب القرآن في أكثر من موضـــع، وتبع هؤلاء تلامذتهم من أبناء جلدتنا، وقاموا بمهمة التشكيك بالقرآن الكـــريم وبمصـــدره حتى يأتوا على البنيان من أساسه، فأثاروا الشبهات حول موضوع الوحي، ومصدر القرآن الكريم.

أهمية البحث:

نظراً لما يواجهه العالم الإسلامي من هجمة شاملة، وفي مقدمتها الغارة الشرسة التي تستهدف أصالة القرآن الكريم بوصفه كلام الله المنزل على خاتم الرســـل محمـــد صلى الله عليه وسلم، ونظراً لأهمية هذا الموضوع وضرورة بـــيان ما يقوم به هؤلاء من افتراءات وشبهات ودعاوى في أوساط المسلمين، وبياناً للحقائق اندامغة لكل مفترياتهم حول القرآن الكريم تأتي أهمية البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأمور الآتيه:

ـــ تزويد المسلم المعاصر بنظرة عامة عن الفكر الاستشراقي ووسائله وما أثاره هؤلاء حول القرآن الكريم.

ـــ تـــزويد المســـلم المعاصر بنظرة عامة عن الوحي الإلهي باعتبار الإيمـــان بـــه أســـاس الإيمـــان بقية الأركان وهو المدخل الأساس للدراسات القرآنية.

ـــــ توجيه الباحثين إلى ما أثاره المستشرقون حول موضوع الوحي من شـــبهات وادعاءات، وكيفية الرد على هذه الشبهات، وتفنيدها بالشواهد العقلية والنقلية والبراهين العلمية والحفائق التاريخية التي تعينهم على هذا الرد.

خطة البحث:

المبحث الأول: الاستشراق (مفهومه ونشأته وأهدافه الدينية)

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق.

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق .

المطلب الثالث: أهداف الاستشراق ودوافعه الدينية.

المطلب الرابع: بعض وسائل المستشرقين.

المبحث الثاني: قضية الوحي وموقف المستشرقين منها :

المطلب الأول: مفهوم الوحي وحقيقته .

المطلـــب الثانـــي: لمـــاذا ركز المستشرقون على قضية الوحي (القرآن الكريم)؟

المطلب الثالث: شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها.

نســـأل الله ســـبحانه وتعالـــى أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتنا، وأن يعفو عن كل تقصير منا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

الاستشراق (مفهومه ونشأته وأهدافه الدينية وبعض وسائله)

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق:

الاستشراق (Orientalism) مصطلح له دلالاته، والباحث في المعاجم اللغـــوية القديمـــة لا يجـــد مفـــردة (استشـــرق) إنمـــا يجد مفردة المشرق، والاستشراق مصدر الفعل (استشرق) أي: اتجه إلى الشرق.

وقد تناوله العلماء بالدراسة والبحث وعرفوه على النحو الآتي:

يعــرف الاستشــراق بأنه اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفاته وآدابه وأديانه[١].

ويطلق على التيار الفكري الذي تمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته[٢].

ويطلق ــ كذلك ــ على تلك المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الحضارة الإسلامية وثقافة الشرق وعلومه.

ويعرفه المستشرق الفرنسي الشهير مكسيم رودنسون بأنهُ: "اتجاه علمي لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته[٣]".

والاستشراق هو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بشعوب الشــرقيين، والمستشــرقون هــم المفكــرون المشتغلون بدراسة علوم الشرق وتأريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٤].

ويعــرف الاستشــراق ــ بصــورة أعم ــ بأنه دراسة الشرق، ثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسسات غربية[٥].

ويخطــئ من يقول إن الاستشراق حركة علمية، أو اتجاه علمي لدراسة الشــرق الإســلامي وحضارته كما ادعاه المستشرق الفرنسي الشهير «مكسيم

---

(١) انظر أضواء على الاستشراق والمستشرقين، دياب: (ص:١٠).

(٢) انظــر شــبهات حــول الاستشراق، الفزاري: (ص:١٤)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي:(ص:٢٣).

(٣) عــن كــتاب الإســلام وشــبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي، (حوار مع رودنسون مكســيم بعــنوان الاستشــراق في الميزان)، (ص: ٣١) المنشور على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) (www.u-of-islam.net/uofislam/maktaba/motafariqa/al-islamw).

(٤) عقائد وتيارات فكرية معاصرة، شامة وآخرون: (ص: ١٥٥).

(٥) الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت:(ص:١١).

رودنسون»، لا هدف لها إلا دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه؛ بل هو في حقيقة الأمر حركة واسعة الدوافع والقوى الكامنة، خادمة للاستعمار وأهدافه، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الإسلام، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم.

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق:

لم يجزم أحد بتحديد بدايات الاستشراق، فبعض الباحثين يرجع البدايات إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس عندما اهتم الغرب بدراسة الحضارة الشرقية، ويربطون بداية حركة الاستشراق بالراهب الفرنسي (جرير دي أولياك المتوفى ١٠٠٣م)، فهو يعد أول المشتغلين بعلوم الشرق وارتحل إلى الأندلس ودرس فيها اللغة العربية ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، وقرأ بعض العلوم الدينية، وأصبح أوسع علماء عصره بالثقافة العربية، وتقلد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) [١].

وبعض الباحثين يرجعون بداية الاستشراق إلى الفشل الذي لحق بالأوربيين في الحروب الصليبية، وأرادت أن تثير على المسلمين حربا صليبية جديدة عن طريق التبشير، وقد جاء هذا التحول بناء على وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة بمصر، وطالب فيها بأن تتوقف الحروب العسكرية على عالم الإسلام لأنها لم تستطع أن تحقق شيئاً، وأن تبدأ حرب الكلمة، ودعا الكنيسة إلى العمل على تحريف مفهوم الإسلام الصحيح وإخراجه من أصالته وتكامله[٢].

---

(١) انظر عقائد وتيارات فكرية معاصرة، شامة وآخرون: (ص: ١٥٧).

(٢) انظر المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، الجندي: (ص:١١).

كما يرجع البعض الآخر من الباحثين بداية الاستشراق إلى صدور قرار مجمع فينا الكنسي عام (١٣١٢م) وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية (باريس، أكسفورد ـ بولونيا ـ سلمنكا ـ جامعة الإدارة المركزية البابوية) وعين للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين[١].

وأما تداول مصطلح الاستشراق بالصيغة المتعارف عليها حالياً فقد ظهر في أوربا في نهاية القرن الثامن عشر، وقد بدأ استخدام هذا اللفظ في إنجلترا منذ عام (١٧٧٩م)، وأدرج رسمياً في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٩م)[٢].

والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنه مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والإسلام، مما يدل على أنه امتداد للحروب الصليبية، وشكل من إشكالها، وقد نشطت حركة الاستشراق وبلغت أشدها منذ قرنين من الزمان في صورة حركة تابعة لحركة الاستعمار.

المطلب الثالث: أهداف الاستشراق ودوافعه الدينية:

إن الدوافع والأهداف وراء حركة الاستشراق متعددة، ولعل الهدف الاستراتيجي من جملة نشاطهم الاستشراقي هو هدف ديني ـ بالإضافة إلى أهدافهم الأخرى ـ هو تشويه الإسلام وحماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحرب الصليبية.

وسنقتصر في هذا البحث عن هذا الباعث كون موضوعنا متصلاً بهذا الجانب، ولكون الباعث الديني لنشأة الاستشراق له أهميته في صياغة الأهداف التي يعمل الاستشراق على تحقيقها، فقد تركت الحروب الصليبية أثرها على

---

(١) انظر تاريخ حركة الاستشراق لـ (يوهان فوك):(ص:٣١)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (ص:٣٣)، وشبهات حول الاستشراق، الفزاري: (ص:١٤).

(٢) انظر شبهات حول الاستشراق: للفزاري: (ص:١٥).

نفسية الغرب، وما سبق ذلك من الفتوحات الإسلامية التي كان الأثر الكبير في دخول الكثير من الممالك المسيحية في الدين الإسلامي.

يقول (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب): "لقد تراكمت الأوهام الموروثة المتسلطة علينا والنقمة على الإسلام ـ بسبب الحروب الصليبية، واستيلاء المسلمين على الاستانة، وقوة تأثير مدنيتهم السامية الساحقة ـ حتى أصبحت تلك النقمة جزءاً من نظامنا، وكانت تلك الأوهام متأصلة فينا .. كالبغض المتأصل المتزايد في أعماق النصارى لليهود[1]"

ويقول المستشرق الفرنسي (كيمون) في كتابه (باثولوجيا الإسلام): "إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع، وشلل عام يبعث على الخمول والكسل..." ويقول: "أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد في متحف اللوفر[2]".

ولهذا نجد حركة الاستشراق انطلقت من الكنيسة، وأوفدت لهذه المهمة رهبانها وقساوستها لدراسة علوم الإسلام لتخريج جيل يستطيع مجادلة المسلمين على علم ودراية، متمسكين بعاطفتهم الدينية الشديدة، وهذا يجعل سيطرة الباعث الديني على البواعث الأخرى، ومن هنا نجد أن هؤلاء المستشرقين تعرفوا على الإسلام وحضارته، وعلومه ولغته العربية، ليستطيعوا الوصول إلى هدفهم وهو الطعن في الإسلام وحضارته، وتحريف حقائقه.

ولذلك يسعى المستشرقون من مزاعمهم وافتراءاتهم ضد الإسلام إلى تحقيق الأهداف الآتية:

---

(١) عن كتاب مفتريات على الإسلام، أحمد جمال: (ص: ١٢).

(٢) عن كتاب عقائد وتيارات فكرية، شامة وآخرون: (ص: ١٥٩).

أولاً : تشـويه صـورة الإسـلام والقدح في تفرده وأصالته، وهم بهذا التشـويه يقدمون الإسلام على أنه صورة مشوهة للتراث اليهودي والنصراني، وأن هـناك كلمات غير عربية في القرآن، استعير معظمها من مصادر يهودية ونصـرانية، ... تقـف شـاهداً علـى مـا يدين به محمد لكل من اليهودية والنصـرانية، وأن بعض الأنبياء المشار إليهم في القرآن إنـما هم شخصيات الكتاب المقدس : نوح وموسى وإبراهيم.

يقول أديسون في وصف محمد صلى الله عليه وسلم: " محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به للعرب[1]"

وإذا كـان هناك تشابه بين القرآن والتوراة والإنجيل فهذا أمر طبيعي، لأن المصـدر واحـد وهـو الوحـي، أما التناقض فيرجع إلى تحريف اليهود والنصارى للوحي المنـزل على موسى وعيسى.

وهـم في هذا التشكيك يريدون أن يبثوا في نفوس المسلمين أنهم ليسوا أهل إبداع فكري أو حضارة أصلية، وليعملوا على إخراج المسلمين من دينهم، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة من الآية: ١٢٠).

ثانـياً: التعمـية على مبدأ عالمية الإسلام: لقد أرسل الرسول صلى الله علـيه وسـلم إلـى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وهذا الأمر أزعج المستشرقين، فحاولـوا النيل من هذا المبدأ، ووصفوا القرآن الكريم بأنه (القرآن العربي) أي الكـتاب الخـاص بالعـرب في مقابل الكتب المقدسة لليهود والنصرانية، فعند تـرجمتهم للقـرآن الكـريم كتب المترجمون على الأغلفة عنوانات من قبيل: (كـتاب محمد، قرآن محمد، القرآن العربي)، وهم يريدون التعمية على قارئ

---

(١) عن كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، البهي: (ص: ٤٢٦).

القــرآن الكريم، فيسلبون رسالة الإسلام واحدة من أهم خصائصها وهي أنــها رسالة عالمية لكل الناس، ويجعلونها خاصة بالعرب وحدهم.

ثالــثاً: التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عــن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم، من خلال إثارة الشبهات حول القرآن الكــريم، وإرجاعه إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلاً من إرجاع التشابه بين الإســلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر (وهذا ما سنناقشه بالتفصيل عند حديثنا عن الشبهات حول القرآن الكريم) .

المطلب الرابع: بعض وسائل المستشرقين:

لــم يــدع المستشــرقون وســيلة لنشر أفكارهم إلا سلكوها، ولما وجدوا صــعوبة فــي قهر المسلمين عن طريق القوة ــ بسبب روح الجهاد لديهم ــ ســلكوا طــريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها، ومن هذه الوسائل:

ـــ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفيها كثير من التحريف.

ــ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه.

ـــ الإرســاليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجيء وغيرها.

ــ إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ونشر مقالات في الصحف العربية والغربية[1].

---

(١) انظــر أساليب الغزو الفكري، جريشة والزيبق: (ص: ٢١)، ومفتريات على الإسلام، أحمد جمال:(ص:١٠).

المبحث الثاني

قضية الوحي وموقف المستشرقين منها

الوحي من الموضوعات التي يكثر فيها النقاش والجدال، لأن موضوعه متصل بالروح والإيمان بها، ومحدودية التصور البشري يعجز عن إدراك كنهها، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء من الآية:٨٥)، والإيمان به أساس الإيمان بكل شيء، فمسألة الإيمان بنزول القرآن وأنه من عند الله تعالى لا يسلم به ولا يقبله إلا من آمن بالوحي وأساليبه والاتصالات الروحية بالملأ الأعلى، والجدال الدائر في كل العصور حول المادة والروح ووضع كل قضية تحت التجربة والاختبار بدأت تتقشع سحابته وبدأ الأمر يتضح شيئاً فشيئاً، ولابد للعقل البشري أن يقر بمحدودية علمه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء من الآية: ٨٥).

ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم بدعاً من المرسلين، ولا كان أول نبي خوطب بالوحي، فالأنبياء جميعهم ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كان حديثهم حديث السماء بوحي من الله سبحانه وتعالى لأن مصدر الوحي واحد، وغاية الرسالات واحدة[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ۞ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء الآيات: ١٦٣-١٦٤).

وحرص القرآن الكريم على تسمية ما ينزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وحياً ليتوافق مع مدلول الوحي الذي أنزله الله على جميع النبيين،

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: (ص:٢٢).

قـــال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم الآيات: ١-٤).

وأنكر الله على العقلاء تعجبهم من هذا الوحي الذي لا ينبغي أن يُتعجب من حصوله لأن إدراكه سهل ميسر، قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَـــى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ (يونس الآية:٢).

والإنســـان في أمس الحاجة إلى الوحي لأن الله تعالى خلق الإنسان من عنصـــرين أساسيين: عنصر الطين، وعنصر الروح، فعنصر الطين جعل الله بقـــاءه قائمـــاً على الغذاء والدواء، وجعل الله في الإنسان ما يدعوه إلى تأمين نفســـه بالفطـــرة الإنســـانية، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بدون إشباع الجانب الطيني.

أمـــا عنصـــر الـــروح فجعل غذاؤه من عند الله وحده ينزل من السماء وتـــتلقاه النفوس عن طريق الوحي، وحاجة الناس إلى الوحي اشد من حاجتهم للهواء والغذاء والماء، ويجب على الإنسان أن يغذي الجانب الروحي منه، وأن يحقـــق التوازن بين العنصرين السابقين، ولذا وصف القران الكريم الوحي بأنه روح، قـــال تعالـــى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِـــتَابُ وَلاَ الإِيمَـــانُ وَلَكِـــن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَـــاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى الآية:٥٢).

ومـــنظومة علوم القران متكاملة تبدأ بالوحي والإيمان به، فمن لم يؤمن بالوحـــي لم يؤمن ببقية علوم القرآن الكريم، ولذا لابد لنا من إعطاء لمحة عن مفهوم الوحي وحقيقته:

المطلب الأول: مفهوم الوحي وحقيقته:

▪ معنـــى الوحـــي فـــي اللغة: الوَحْيُ: الإشارة والكتابة والرِّسالة والإلْهـــام والكـــلام الخَفِـــيُّ وكلُّ ما أَلقيته إلى غيرك. يقال: وحَيْتُ إليه الكلامَ

وأَوْحَيْتُ، ووَحَى وَحْياً، والوحي مصدر ومادة كلمته تدل على معنيين أصليين هما: الخفاء والسرعة[1].

ولذا قيل في معناه اللغوي: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، ويطلق ويراد به الموحى (أي بمعنى اسم مفعول).

ولفظ "الوحي" في القرآن الكريم يتناول معناه اللغوي الأمور الآتية[2]:

١. الإلهام الفطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص الآية: ٧).

٢. الإلهام الغرائزي للحيوان كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل الآية: ٦٨).

٣. الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء كإيحاء زكريا عليه الصلاة والسلام فيما حكاه القرآن عنه، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِياً﴾ (مريم الآية:١١).

٤. وساوس الشيطان وتزيينه خواطر الشر في نفس الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾(الأنعام من الآية: ١١٢)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام من الآية: ١٢١).

---

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور: (٣٧٩/١٥).

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني:(ص: ٥١٤)، ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: (ص:٢٣-٢٤)، ومباحث في علوم القرآن، القصبي: (ص:٢٩-٣٠).

٥. ما يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(الأنفال من الآية: ١٢).

- معنى الوحي في الشرع: اختلفت عبارات العلماء في تعريف الوحي، ومنها:

ـــ "هو الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول، أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم[١].

١. "إعلام الله رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه، ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقين القاطع بما أعلمه الله به[٢]".

٢. هو "أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[٣]".

٣. هو " كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه[٤]"، (وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أي المُوحى" .

٤. هو "ما يكلف الله الملك حمله إلى النبي من آيات كتبه المنزلة[٥]" .

٥. ويعرفه الإمام محمد عبده بأنه "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بوساطة أو بغير وساطة، والأول بصوت يسمعه أو بغير صوت" كما يعرفه "بأنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر: (٩/١).

(٢) العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة : (ص: ٢٤٤).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: (ص: ٥٦/١).

(٤) العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة: (ص ٢٤٤- ٢٤٥).

(٥) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: (ص:٢٤).

ونحـــوه[1]"، وقـــد نـــاقش العلماء ما أوره الشيخ محمد عبده من تعريف للوحي وتفريق بين الوحي والإلهام مناقشة مستفيضة[2].

٦. ويعـــرف الفيلسوف اليهودي سبينوزا(Spinoza) (الوحي أو النبوة) بأنه: "المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما[3]"

وقد نقل مالك بن نبي ما ذهب إليه بعض علماء الدراسات الإسلامية من أن مصـــطلح الوحـــي ــ الـــذي يطلقـــه القـــرآن ــ يُعَبِّـــر عنه بـــ(المكاشفة Intuition أو الوحـــي النفسي)، أو بـــ(الإلهام Inspiration)، إلا أن كلمة الإلهـــام لـــيس لها أي مدلول نفسي محدد، مع أنها مستخدمة عموماً لكي تردّ معنى الوحي إلى ميدان علم النفس.

ويدور معنى المكاشفة أو الوحي النفسي من الناحية النفسية حول معرفة مباشـــرة لموضوع قابل للتفكير، أو خاض فيه التفكير فعلاً، بينما معنى الوحي الإلهـــي يجـــب أن يأخـــذ معنى المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضاً غير قابل للتفكير.

والمكاشـــفة لا تُنْتج عند صاحبها يقيناً كاملاً، أي بعض ما يؤدي إلى ما يســـمى احتمالاً، والاحتمال معرفة يأتي برهانها بعدها، وهذه الدرجة من الشك هي التي تميز المكاشفة عن الوحي من الناحية النفسية.

فالوحي يقين النبي صلى الله عليه وسلم مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بهـــا غير شخصية وطارئة، وخارجة عن ذاته، ولذا كان صلى الله عليه وسلم

---

(١) ويفـــرق بيـــنه وبين الإلهام بأن الإلهام هو "وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غيـــر شـــعور مـــنها من أين أتى؟ وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور" رسالة التوحيد، محمد عبده: (ص:٦٩).

(٢) انظـــر مـــباحث فـــي علـــوم القـــرآن، صبحي الصالح: (ص:٢٦ وما بعدها)، والظاهرة القـــرآنية، مالك بن نبي: (ص: ٢١٣ وما بعدها)، ومنهج المدرسة العقلية في التفسير، الرومي: (ص:٤٨٤-٤٩٤).

(٣) عن مدخل إلى الدراسات الإسلامية، بلتاجي: (ص:٨٤).

يميز ما ينطق به بين نوعي الوحي القرآن الكريم والحديث النبوي ــ باعتباره وحياً ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(النجم الآيتان:٣-٤)، فيأمر بكتابة القرآن الكريم، ويستودع الحديث النبوي ذاكرة الصحابة رضي الله عنهم[١].

والوحـــي بالمعنى المشار إليه يختص بالأنبياء، وليس الإلهام أو الكشف كذلك ، فهما عامان وشائعان بين الناس.

وفـــي دائـــرة المعـــارف الإسلامية يعتبر المستشرق الألماني الدكتور تيودور نولدكه بين الوحي خاصاً بالأنبياء، والإلهام خاصاً بالأولياء[٢].

ونقل الدكتور صبحي الصالح تعريف الوحي عند الدكتور جورج بوست ــ واضع قاموس الكتاب المقدس ــ بأنه: "هو حلول روح الله في روح الكتّاب الملهمـــين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية، من غير أن يفقد هـــؤلاء الكـــتاب بالوحـــي شيئاً من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف، وأسلوبه في التعبير[٣]".

المطلب الثاني: لماذا ركز المستشرقون على قضية الوحي (القرآن الكريم)؟

قبل الحديث عن الشبهات التي أثيرت من قبل المستشرقين حول الوحي وصحة مصدرية القرآن الكريم لابد لنا من إيضاح النقاط الآتية:

ـــــ إن مـــن أبرز صفات المؤمنين الإيمان بالغيْب، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الكِـــتَابُ لاَ رَيْـــبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(البقرة الآيتان: ٢-٣)، والإيمان بالوحي من أهم قضايا الإيمان بالغيب.

---

(١) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي: (ص: ٢٠٩-٢١٢).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية الألمانية، نولدكه: (المجلد ٩، مادة: الدين).

(٣) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: (ص: ٢٥).

ـــ الوحي من الأمور الاعتقادية التي لا يؤمن بها بعض المستشرقين، لأن مناهجهم التي يعتمدونها في البحث لا تعترف بالأدلة الشرعية، وإنما يؤمنون بالعقل على الطريقة التي يستسيغونها وهي المتصفة بالمادية، والعلم الذي تواضعوا عليه في اصطلاحهم الحديث: وهو جملة المعارف اليقينية التي أنتجها دستور البحث الجديد في الوجود وكائناته من جَعْل الشك أساساً للبحث [1].

ولذا نالت قضية الوحي اهتماماً كبيراً من المستشرقين، وحاولوا بشتى الوسائل الطعن في الإسلام من خلال هذا الأمر بمحاولة تفسير الوحي الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشتى التفسيرات المادية والعقلانية، ومن العجيب أن بعضهم يؤمن بالوحي الذي نزل على الأنبياء السابقين وعندما يتعلق الأمر بالرسول صلى الله عليه وسلم فإنهم يكفرون.

ولا تكاد شبهات المستشرقين قديماً أو حديثاً تخرج كثيراً عن الشبهات التي أثارها كفار قريش سوى أن المستشرقين قدموا شبهاتهم بطريقة أكثر تفصيلاً، وصبغوها بالصبغة العلمية الأكاديمية، وهم جميعاً يسعون إلى صد الناس عن القرآن الكريم، وقد صوَّر القرآن الكريم ما كان يثيروه كفار قريش من التصفيق والصفير عند تلاوة محمد صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت الآية:٢٦)، وهذا ما يقوله يقول المنصِّر (وليم جيفورد بالكراف): "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه[2]"، ذلك لأن موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب ومن كتبهم واضح، فهو مهيمن على ما سبقه من

---

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن الكريم، الزرقاني: (٦/١)، ومدخل إلى الدراسات الإسلامية، بلتاجي: (ص: ٩٠).

(٢) عن كتاب دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم: (ص: ٦٣).

كتب سماوية، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ ... ﴾ (المائدة من الآية:٤٨)، وكشف ما قاموا به من التحريف والتبديل للكتب السماوية المنزلة إليهم، وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة الآية:٧٩)، كما أن القرآن الكريم أوضح زيف خصوصيتهم عند الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ (المائدة الآية:١٨).

المطلب الثالث: الشبهات التي أثيرت حول الوحي :

أولاً: الطعن في مصدر القرآن الكريم:

وفحوى هذه الشبهة أن القرآن مستمد من المصادر اليهودية والنصرانية، وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة[1]، وأبرز من تناول هذه الشبهة (جولدنسهر) حيث يقول: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية

---

(١) من أبرز المؤلفات الاستشراقية ضد أصالة القرآن الكريم : (ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟ للحاخام إبراهام جيجر)، (العناصر اليهودية فى القرآن، لهيرشفيلد)، (مقالة فى شرح القرآن، لليزج) (أبحاث جديدة فى فهم القرآن وتفسيره، لليزج)، (أصل الأساطير الإسلامية فى القرآن، لسيدرسكي)، (بحوث قرآنية، لهورفيتز)، (الحكايات التوراتية فى أجزاء القرآن، لإسرائيل شابيرو) (التوارة فى القرآن، لفايل)، (العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدزيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وزميله)(عناصر يهودية فى مصطلحات القرآن الدينية، لبيرنات هيللر)، (السامريون فى القرآن، لجوزيف هاليفي) وكتب أخرى.

صادقة ... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعد هذه التعاليم وحيا إلهياً[1] ".

ويقـول فـي موضع آخر: " لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلـك فـي أكثـر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم[2] "

وهـم بـذلك يسعون إلى القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديـد، وقد صوّر القرآن الكريم مقولتهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ۞ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان الآيتان:٤-٥)، أنـه تلقى العلوم القرآنية من على يد معلم، فإما أن يكون له معلم من قومه أم من غير قومه !!!

وللوصول إلى تحقيق هدفهم ــ وهو الطعن في أصالة القرآن الكريم ــ فقد سخروا لذلك وسائل كثيرة، وسلكوا سبلاً عديدة أهمها الترجمة المشوهة للقرآن الكريم، باعتباره المعجزة الخالدة عند المسلمين، وهو الكتاب المقدس عندهم، وقد تولى الله سبحانه وتعالى حفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر الآية:٩)، ولكون الترجمة وسيلة من وسائل توصيل المعلومة إلى غير الناطق بتلك اللغة، وهي همزة وصل بين الثقافات، وأداة اتصال وتفاهم بين الشعوب والأمم، ولذلك بدأ الصحابة رضوان الله عليهم في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، كما أنها وسيلة استغلها بعض أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم في محاربة الإسلام

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسهر: (ص: ١٢).

(٢) المرجع السابق: (ص: ١٥).

وتشويه معالمه الناصعة، والنيل من القرآن الكريم، فقد قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم، بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها . يقول (يوهان فوك) فى تأريخه للدراسات العربية فى أوربا: "لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن[1] ".

كما أن الكنيسة حرمت طبع أو نشر ترجمة القرآن، حتى إن ترجمة بطرس الموقر ظلت حبيسة محفوظات دير كلونى ولم يفرج عنها إلا بعد أربعة قرون[2]، ثم أعيد تحريم الطبع والنشر مرة ثانية ، ولم يسمح بطباعة الترجمة إلا عام ١٦٩٤م، عندما قام راهب مدينة هامبورج الألمانية إبراهام هنكلمان بطبعه[3].

ويسعى المستشرقون في ترجمتهم للقرآن الكريم إلى تحقيق الأهداف الآتية:

الأول: تشويه الترجمة ويتمثل ذلك فيما يلي:

١. إزاحة الآيات من مكانها التوقيفي لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآني.

٢. الترجمة الحرّة وتحاشي الترجمة العلمية إمعاناً فى التحريف والتضليل، مما يترتب عليه تحوير المعاني وتبديلها، وعرض النص القرآني كما يراه المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.

٣. التقديم والتأخير والحذف والإضافة، وفي هذا يقول محمد رشيد رضا: "ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج فى فهم القرآن

---

(١) تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك: (ص: ١٤) .

(٢) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، البنداق:(ص:٩٥ــ٩٧).

(٣) انظر تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك: (ص: ٩٨) .

كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر[1]" .

الثاني: إضافة المقدمات والملاحق : أضاف المستشرقون ترجماتهم للقرآن الكريم مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة لا لمضمون النص المترجم.

الثالث : عنونة ترجمات القرآن: وضع المستشرقون عناوين على ترجماتهم وجهت ضد أصالة القرآن من قبيل : (كتاب محمد ، قرآن محمد ، القرآن العربي ، القرآن التركي، الشرائع التركية، الكتاب المقدس التركي ، تشريعات المسلمين)[2].

ويمكن الرد على هذه الشبهة على النحو الآتي:

أولاً: إن وحدة المصدر ـ كون الكتب السماوية من عند الله سبحانه وتعالى ـ تجعل من الممكن وجود التشابه بين القصص القرآني مع القصص في الكتب السابقة، والقرآن الكريم يعلن ـ بصراحة تامة ـ صلته بالكتب السابقة، ويلفت إليها النبي صلى الله عليه وسلم ويؤكدها قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس الآية: ٣٧)، وهذه الصلة تتسم بطابعها الخاص، فهو مكمل أو مصحح لمعلومات الكتاب المقدس[3].

---

(١) الرحي المحمدي، محمد رشيد رضا:(ص: ٢٤).

(٢) وقد قام مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق بجهود مشكورة بنشره أبحاثا قيمة إتاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ـ (www.madinacenter.com).

(٣) وقد ناقش مالك بن نبي هذه القضية مناقشة مستفيضة، وعقد مقارنة علمية موثقة حول قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم والكتاب المقدس. أنظر الظاهرة القرآنية: (ص:٢٨٥ـ٣٩٤).

ثانياً: نقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم مع مخالفيه ــ ومنهم اليهود والنصارى ــ طرقاً كثيرة دخض مفترياتهم، ورد على أكاديبهم[1] ومنها:

الطــريق الأول: طريق التحدي، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِــنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء الآية: ٨٨)، فإن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد استطاع بمســاعدة أهــل الكــتاب أن يأتي بالقرآن من عند نفسه، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ومعهم الثقلان من الجن والإنس أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم.

كمــا أن لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم مع علماء اليهود والنصارى كــان لقاء مجادلة ومحاجة[2]، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَــوَاءٍ بَيْنَــنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابــاً مِّــن دُونِ اللَّــهِ فَــإِن تَوَلَّــوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران الآية: ٦٤).

الطــريق الثانــي: طريق المقارنة، حيث يدعو القرآن الكريم إلى تأمل آياتــه وقصصــه وأخباره، إذ ينتهي ذلك التأمل إلى نتيجة حتمية مؤداها تنزيه القــرآن عن الاختلاف والتناقض، قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾(النساء الآية: ٨٢).

الطريق الثالث: طريق النقد التاريخي، إن المتتبع لتأريخ النبي صلى الله عليه وسلم يحصل على حقيقتين تاريخيتين:

الحقــيقة الأولــى : أمــية الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم معرفته بالقراءة والكتابة، فمعلوم أنه صلى الله عليه وسلم ولد يتيماً وعاش أمياً في أمة

---

(١) انظر الغارة على القرآن الكريم، عبدالراضي: (ص: ٥٦-٥٧).

(٢) انظر النبأ العظيم، دراز: (ص:٥٦-٥٧).

أمية لا تعرف القراءة والكتابة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة الآية: ٢)، فمستحيل أن يكون معلمه من بينهم.

الحقيقة الثانية: أما إن كان معلمه من غير قومه فالتاريخ يرد عليهم، حيث لم يشهد ولو بكلمة واحدة أنه لقي أحداً من علماء أهل الكتاب وحدثه وتلقى عنه سواءً قبل البعثة أو بعدها، بل إن من لقيه منهم كـ(بحيرا الراهب وورقة بن نوفل) كان لقاء شهادة له لا عليه، ولقي علماء اليهود والنصارى ولكن لقاء مجادلة ومحاجة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران الآية: ٦٤)، وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة الآية: ٧٨)، فكيف يجادل التلميذ أستاذه بل كيف يلعنه ويتعلم على يديه؟!

كما أن الشخص الذي أدعى المنكرون للقرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم منه القرآن الكريم كان لسانه أعجمياً لا يجيد العربية، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فلا يستقيم عقلاً أن يتعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم من أعجمي[1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل الآية: ١٠٣).

---

(١) انظر النبأ العظيم، دراز: (ص: ٦٤).

إن قريشـــاً كانـــت أحـــرص الناس على خصومة محمد صلى الله عليه وســـلم، وبيان صدق ما كانوا يدعونه، وهم أعلم الناس بأسفاره ورحلاته، ومع ذلك عجزوا عن عقد صلة علمية بينه وبين أهل العلم في عصره[١].

ونـــرد عليهم بما قاله الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠-١٩٢٧) في كـــتابه "الإســـلام: خواطر وسوانح ".. قد نرى تشابهًا بين القرآن والتوراة في بعـــض المواضـــع، إلا أن ســـببه ميسور المعرفة.. إذا لاحظنا أن القرآن جاء لينممها، كما أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم الأنبياء والمرسلين[٢]".

الشبهة الثانية: الوحي مستمد من الشعر الجاهلي:

ومـــن الشـــبهات التـــي أثيرت أن القرآن الكريم أنه مستمد من الشعر الجاهلي، ومن ذلك ما أورده المستشرق (توسدال) حيث أورد بعض الأبيات التي نسبت إلى امرىء القيس التي ورد فيها بعض التعبيرات القرآنية :

دنت الساعة وأشق القمـــر عن غزال صاد قلبي ونفر.

أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور.

بســـــهام من لحاظٍ فاتـــك تركتني كهشوم المحتضر.

الرد على هذه الشبهة:

المـــتأمل فـــي هذه الشبهة يجد أن القائلين بها يريدون الفصل بين اللغة العـــربية والقـــرآن الكريم، وقد ناقش العقاد هذه الشبهة مناقشة وافية، ودحض نســـبة هذه الأبيات إلى امرىء القيس أو غيره من شعراء الجاهلية[٣]، كما أن الرســـول صـــلى الله عليه وسلم نشأ أميّاً لا يقرأ ولا يكتب ولم يقل الشعر في حياته أصلاً، بل أقر بنفسه ــ والإقرار سيد الأدلة ــ بأن مصدر القرآن الكريم

---

(١) انظر النبأ العظيم، دراز:(ص:٦٦-٦٧).

(٢) عن كتاب قالوا عن القرآن، عماد الدين خليل (من الإنترنت).

(٣) عن كتاب الاستشراق والدراسات الإسلامية، العاني: (ص: ٣٩).

هـو رب العزة جل وعلا، ولو كان يبتغي الزعامة لنسبه صلى الله عليه وسلم إلـى نفسـه لتحصل الشهرة في أوساط قومه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُـوا لَـوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُـدًى وَرَحْمَـةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف الآية :٢٠٣)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَـدْ لَبِـثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس الآيتان: ١٥-١٦)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف الآية:١٠).

الشبهة الثالثة: ظاهرة الوحي أثراً لنوبات الصرع:

كان لتفسير ظاهرة الوحي عند بعض المستشرقين ــ كما جاء في كتاب (حضـارة العـرب) لجوسـتاف لوبون ــ نتائج خاطئة ناتجة عن حقد ودجل وافتراء، فقد قالوا إن الوحي ــ على حد زعمهم كان أثراً لنوبات الصرع التي تعتـري الرسـول صـلى الله عليه وسلم، فكان يغيب عن صوابه، ويسيل منه العـرق، وتعتريه التشنجات، وتخرج من فيه الرغوة، فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحي إليه، وتلا على المؤمنين به ما يزعم أنه وحي من ربه[1].

وقد كتب المستشرق (مونتجمري وات) يصف الرسول صلى الله عليه وسـلم بأنه كان من الذين يتمتعون بما سمّاه " الخيال الخلاق" وحاول الرجوع لعلـم الـنفس لشرح هذا المصطلح بإرجاعه إلى اللاشعور أو الوعي الجمعي وغيـره مـن المصـطلحات الغامضـة التي تبعده عن تفسير الوحي التفسير

(١) التعبير الفني في القرآن، بكري أمين: (ص:١٩).

المعقول، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " إن محمداً كان مصاباً بالصرع[1] ".

ويقول جولد تسيهر: "إن الأمراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم والتي يشقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة كما يجدون فيها قوة تهدم جميع العقبات، ومن ذلك حمية النبي أو الحواري ...[2]"

وهم بهذه الشبهة يبتدعون تفسيراً جديداً وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رجلا زاهداً في حياته كلها، وأن هذا الزهد والتسامي والرافض لكل ألوان الملذات وأخذه بأسباب التعبد والصلاة الطويلة والتبتل، فأخذ يتراءى له الكشف المصحوب بالأصوات المسموعة، وهذه المظاهر الصوتية والمرئية نجدها أيضا لدى المصابين بالأمراض العقلية كالهستيريا وانفصام الشخصية....

ويمكن الرد على هذه الشبهة على النحو الآتي:

ـــ إن هذه الشبهة قائمة على الإسقاط الناتج عن عقيدتهم الفاسدة، فالمسيحيون يعلمون أن شاؤول (بولس الرسول) الذي تحوّل فجأة إلى ألدّ أعداء يسوع وأتباعه، إلى رسول مبشر بما جاء به يسوع، كان مصاباً بداء الصرع، وهذه حقيقة يعلمها المسيحيون .

ـــ إن المصابين بالصرع تكون حافظتهم ـــ أثناء النوبة ـــ معطلة، وكان صلى الله عليه وسلم أجود ما تكون حافظته عند نزول الوحي عليه، والنصارى لا ينكرون الوحي كظاهرة، ويعترفون به للأنبياء، ولكنهم ينكرونه للنبي صلى الله عليه وسلم، والذي يصاب بالصرع حقيقة يفقد وعيه، فإذا أفاق لا يذكر من تلك الفترة شيئا، ولكن الوحي الذي كان يجيء نبينا محمداً صلى

---

(١) عن كتاب الاستشراق والدراسات الإسلامية، العاني: (ص: ٣٧).

(٢) انظر المصدر السابق: (ص: ٤٢).

الله عليه وسلم لا يدهب حتى يكون قد وعى وحفظ ما أوحي إليه به، والمصاب بالصـــرخ لا يمكن أن يأتي بدين ورسالة إلى العالم، ثم إن الوحي لم يكن دائماً بالصـــورة التي تشبه الغيبوبة بل كان يأتي في الواقع كثيراً والرسول صلى الله علـــيه وسلم في يقظة تامة[1]، والتاريخ يشهد بالأدلة قاطعة أنه صلى الله عليه وسلم كان وديعاً صبوراً حليماً، وكان شجاعاً مقداماً، أما مريض الهستريا فمن أعراضـــه شـــذوذ في الخلق، وضيق في التنفس، واضطراب في الهضم، وقد يصـــل بصاحبه إلى شلل موضعي، ثم إلى تشنج، ثم إلى إغماء، ثم إلى هذيان مصـــحوب بحـــركة واضـــطراب فـــي اليدين والرجلين، وقفز من مكان إلى مكان...، وهذا دليل على جهلهم بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يصفوه بهذه الفرية الكاذبة[2].

وقـــد ناقش هذا الأمر مالك بن نبي فقال: "لقد تعجل بعض النقاد ـــ من المستشـــرقين ـــ حين ألموا بهذه الدلائل النفسية، فعدوها أعراضاً للتشنج تارة، وهذا الرأي يشمل خطأ مزدوجاً حين يتخذ من هذه الأغراض الخارجية مقياساً يحكـــم به على الظاهرة القرآنية بمجموعها، ولكن من الضروري أن نأخذ في اعتـــبارنا قـــبل كل شيء الواقع النفسي المصاحب، الذي لا يمكن أن يفسر أي تعلـــيل مرضـــي ... فإذا نظرنا إلى حالة النبي صلى الله عليه وسلم وجدنا أن الـــوجه وحـــده هو الذي يحتقن، بينما يتمتع الرجل بحالة عادية، وبحرية عقلية ملحـــوظة مـــن الوجهة النفسية، ليستخدم ذاكرته استخداما كاملاً خلال الأزمة نفســـها، على حين يمحى وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة، فالحالة ـــ إذن ـــ ليست حالة تشنج ... هذا التلازم الملحوظ بين ظاهرة نفسية في أساسها، وحالة عضوية معينة، هو الطابع الخارجي المميّز للوحي[3]"

---

(١) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، أبو خليل: (ص: ٧٨-٧٩).

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: (١/٧٤).

(٣) الظاهرة القرآنية: (ص: ٢٢٣-٢٢٤).

إن نـــوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها، بل هـــو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حلَّ به خلالها، لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تماماً.

إن ظاهـــرة الوحي عملية إرسال واستقبال بوقت واحد، إرسال بوساطة الملك المؤتمن، واستقبال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، يتم ذلك في حالة إدراك متماســـكة، يســـيطر فيها الوعي والشعور والإحساس، كما لو كان أمراً عادياً في يقظة حقيقية، قبل الوحي، وأثناء الوحي، وبعد الوحي، مهما صاحب عملية الوحي من شدة ووطأة ومفاجأة .

إن الوحـــي لـــيس من قبيل الحدس أو الشعور الباطني ودلالات النفس والفراســـة السريعة التي غالباً ما تتأثر بالرياضات الروحية والتفكير المستديم والطـــويل، بـــل إنه أمر طارئ زائد على الطباع البشرية خارجي عن النفس والـــباطن، لا يخضـــع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الذات الإلهية بواسطة الملك الموكل بذلك.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: الكتب :

١. أساليب الغزو الفكري، علي جريشة ومحمد الزبيق، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الثانية (بدون تاريخ).

٢. الاستشراق والدراسات الإسلامية، الدكتور عبدالقهار داود العاني، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى: (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٣. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، الدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٤. الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي المنشور على شبكة المعلومات الدولية موقع الجامعة الإسلامية www.u-of-islam.net/uofislam/maktaba/motafariqa/al-islamw

٥. أضواء على الاستشراق والمستشرقين، الدكتور محمد أحمد دياب، دار المنار وشركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة (بدون تاريخ).

٦. تاريخ حركة الاستشراق، (يوهان فوك)، بترجمة عمر العالم، الطبعة الأولى، دار قتيبة، دمشق ــ بيروت (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

٧. التعبير الفني في القرآن، بكري الشيخ أمين، دار الشروق، بيروت (١٩٧٢م) .

٨. دائرة المعارف الإسلامية الألمانية للمستشرق الألماني، الدكتور تيودور نولدكه، تعريب: د.عبد الحميد يونس وجماعته، القاهرة (١٩٣٣ م).

٩. الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتاب العربي، (١٩٦٧م).

١٠. دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم، مكتبة الصحابة جدة ومكتبة التابعين، القاهرة (١٩٩٤م).

١١. رسالة التوحيد، الإمام محمد عبده، دار النصر للطباعة (١٩٦٩م).

١٢. شبهات حول الاستشراق، فراج الشيخ الفزاري، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى: (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

١٣. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (٢٠٠١م).

١٤. عقائد وتيارات فكرية معاصرة، د. محمد شامة وآخرون، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى: (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

١٥. العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة، منشورات صبا، طهران، إيران، الطبعة الثانية: (١٩٧٩م).

١٦. العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة: (١٩٤٨م).

١٧. الغارة على القرآن الكريم، الدكتور عبدالراضي محمد عبدالمحسن، دار قباء، القاهرة، (٢٠٠١م).

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).

١٩. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الدكتور محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة (١٩٨١م).

٢٠. قالوا عن القرآن، الدكتور عماد الدين خليل المنشور على شبكة المعلومات الدولية موقع شبكة صيد الفوائد (www.saaid.net)

٢١. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) .

٢٢. مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشر: (١٩٩٠م).

٢٣. مباحث في علوم القرآن، الدكتور القصبي محمود زلط، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٢٤. المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، أنور الجندي، دار الاعتصام (بدون تاريخ).

٢٥. مدخل إلى الدراسات الإسلامية، الدكتور محمد بلتاجي، مكتبة الشباب، القاهرة (١٩٨٢م).

٢٦. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق ، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٢٧. مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، مطبوعات الشعب، الطبعة الثالثة: (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٢٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، (بدون تاريخ).

٢٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: (بدون تاريخ).

٣٠. منهج المدرسة العقلية في التفسير، الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة: (١٤٠٧هـ).

٣١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٣٢. النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، دار القلم، الطبعة الثانية: (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

٣٣. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، دمشق (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

ثالثاً: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق: (www.madinacenter.com).